

في نور محمّد فاطمة الزهراء

أمّا هي فقد غمرتها الطمأنينة، شاع في وجهها شفق الأصيل أغصت العينان، استراحت على وجنتيها الأهداب، وراء شفتيها استراح اللسان، خشعت الأطراف، ذاب كيائها كلّها في الحياء ... بمثل صفاء الندى العذري المتلألئ في أحداق السحر، لمع ناظرها بقطرتين كالدرّ: درّة هنا، ودرّة هناك. قيل: سكنت من وجل، وكانت درّتها المتألّقتان من رضا وبشر. وقال متقوّلون: إنّما سكنت من دهشة وعجب، لأنّها لم تكن تصدّق أنّ أحداً يخطبها بعد أن قاربت العشرين!! وإنّما دمعت عيناها من حزن وأسف أن سيسلّمها أبوها بهذا الزواج إلى من سيحييها معيشةً ضنكا [1066]، هي الشطف [1067] والإملاق [1068] على غير ما تأمل فتاة تتطلّع في حياتها المقبلة إلى عشٍّ زوجيٍّ هو جذّة طيّبة الجنى، شهية الثمار، طلالها رغد ورفاهة وعيش رخي كريم!! فهل أصاب أصحاب التقوال؟ العجب لهم كيف يقلبون المعاني، ويقلبون الأوضاع! إنّهم يحبّون أن يروا ما يعيب، ولا يحبّون أن يروا ما لا عيب فيه [1069]، بل إنّهم ليرون ما يعاب فيما لا يعاب. وإذا كان زواج فاطمة قد تأخّر إلى ما بعد الهجرة، فذاك لأنّ حياتها وحياة المسلمين بمكة لم تكن حياة أمن واستقرار، ولأنّ الدعوة الإسلامية كانت عندئذ في إربّانها، والرسول مشغول بنشرها عن كلّ ما عداها من الأُمور، ولأنّ الحال بمكة قد تبدّلت، فأصبحت خطبة المسلمين مقصورة على المسلمين وهم قلة قليلة، إن دخلت في نطاق الآحاد فهي لا تنوغل في نطاق العشرات!